لديوان الاوقاف فناظراً للحقانية وذلك سنة ١٩٠٨ ارتقاه متوالٍ في تقدير الكفاءة والاستحقاق

وقد اشتهر عطوفتهُ باللين والدعة والصراحة وبصدق العزيمة ايضاً فوق مهارتهِ في علم القانون واهتمامهِ بانجاز الاعمال . واشغال الداخلية اوسع نطاقاً واكثر تعقداً من اشغال الحقانية ولا سيما اذا اضيفت اليها مهام رئاسة النظار لكن الناظر الحازم اللبب لا يصعب عليهِ تذليل حزونها والسير بها الى الغاية المرومة وهي استتباب الامن والسكينة في البلاد واجراء الاعمال النافعة التي تعود على العباد بالخير والاسعاد . فعسى ان يوفق هو واخوانهُ النظار الى الغاية التي يرمون اليها وتنتظرها البلاد منهم

درس لنظار المدارس

جاء الصيف وتقدَّم تلامذة المدارس للامتحان . وستُحسب درجاتهم على نسبة ما يجيبون عنهُ من المسائل الرياضية والطبيعية واللغوية . هذه درجاتهم في الدرس والمدارس ولكن مَن يعلم ماذا تكون درجاتهم في الدنيا . كم من وزير يدير شؤون الممالك الآن وكتابهُ كانت درجاتهم اعلى من درجتهِ في المدرسة . كم من تاجر جمع الملايين وعمَّالهُ كانت درجتهم اعلى من درجتهِ في الامتحان . بل كم بين ظهرانينا من رجل حصَّل ثروة طائلة وهو اي لا يعرف ان يكتب اسمهُ . العلوم مفيدة ولكن فائدتها تتوقف على استعداد المرء لاستعمالها . والاستاذ الماهر هو الذي يبثُّ في نفوس تلامذتهِ محبة العلم ويحملهم على الرغبة فيهِ والعمل بهِ

وقد اطلعنا الآن على سيرة رئيس من رؤساء المدارس الجامعة فاق غيرهُ في ادراك الغاية من التعليم وفي جعلهِ بني بالغاية المطلوبة منهُ وهو الدكتور دافد ستار جوردان رئيس جامعة ستانفرد باميركا فرأينا ان نقتطف منها السطور التالية لانَّ فيها درساً مفيداً لنظار مدارسنا

منذ نحو خمس وستين سنة كان في مدينة سكرمنتو في اواسط كاليفورنيا من الولايات المتحدة الاميركية تاجر صغير اسمهُ للاند ستانفرد رغب هو وامثالهُ من التجار في انشاء سكك حديدية في غرب اميركا وجنوبها فكان ما رغبوا فيهِ . ولم يمضِ عليهِ خمس وعشرون سنة حتى صار من اكبر الاغنياء وصارت ثروتهُ تقدر بالملايين الكثيرة وجُعل حاكماً لبلدهِ ثم عضواً في مجلس الشيوخ . وكان لهُ ولد وحيد فجع بهِ فعقد نيتهُ على ان يجعل ثروتهُ كلها تذكاراً لابنهِ وذلك بان ينشئ مدرسة جامعة يسميها باسمهِ تعلِّم الشبان ليصيروا رجالاً

مقتدرين على العمل اي ليضعوا ما كان يتمنى ان يصير بنتهُ فينفق على هذه الجامعة في حياته كل ما تحتاج اليهِ و يوقف عليها ثروتهُ كلها بعد موتهِ وموت زوجتهِ

فبنى الجامعة على ستين ميلاً من سان فرنسيسكو ولما تمَّ بناؤها جعل يفتش عن رجل يعينهُ رئيساً لها واستشار في ذلك صديقهُ الدكتور ايليوت رئيس جامعة هارفرد والدكتور اندرو هويت رئيس جامعة كورنل فهديا اليهِ شاب غير مشهور اسمهُ دافد ستار جوردان كان حينئذٍ رئيساً لجامعة انديانا فعرض عليهِ رئاسة مدرستهِ في ٢٢ مارس سنة ١٨٩١ وجاءهُ الجواب منهُ بالقبول في اليوم التالي

لما جاء الدكتور جوردان الى كليفورنيا وجد الناس قد اطلقوا على تلك الجامعة اسم الامارة او المملكة الحمراء لسعتها ولانها مبنية بالاجر الاحمر فشرع من ساعتهِ في جعلها جمهورية للتعليم واطلق لتلامذتها الخيار ليختاروا العلوم التي يرغبون في تعلمها من غير قيد فلا يخص التلميذ منهم بالدرس الاَّ ثلث وقتهِ والثلثان الباقيان يعمل فيهما ما شاء من الاعمال . وقال لهم انهُ لا يطالبهم باكثر من تعلُّم علم واحد على شرط ان يتعلموهُ جيداً بكل حذافيرهِ فانهُ هو لم يتعلَّم الاَّ علماً واحداً وهو علم الاسماك فاتقنهُ حتى صار اكبر ثقة فيهِ في الدنيا . والحقيقة انهُ لم يقم في المدرسة الاَّ ثلاثة اشهر وكان في تلك المدرسة استاذ واحد لا غير وهو الشهير اغاسز فلما توفي تلاشت مدرستهُ . ولقد كانت مدرسة المدارس ولها اكبر فضل على العلم والعلماء في اميركا

وهاك مثالاً للطريقة التي كان اغاسز يجري عليها في تعليم تلامذتهِ : — انتظم تلميذ في سلك مدرستهِ هذه ومضت بضعة ايام وهو لا يلتفت اليهِ فقال لهُ التلميذ الا تعطيني شيئاً اشتغل بهِ . فاعطاهُ سمكة وقال لهُ ادرس هذه السمكة . فاستغرب التلميذ ذلك لكنهُ عكف على درسها وفي اليوم التالي قال لهُ اغاسز ماذا رأيت فيها فقال رأيت ان لها عينين وكذا وكذا من الزعانف فقال اغاسز هذه امور غير هامَّة فادرسها ايضاً . ثم سألهُ في اليوم الثاني والثالث الى الرابع وكانت السمكة قد انتنت فقال التلميذ في اليوم الرابع ان جانبي السمكة متساويان فقال اغاسز اصبت هذا هو المراد فان الحيوان المعروف بنجم البحر غير متساوي الجانبين والحيوانات المعروفة بالمحار غير متساوية الجانبين ايضاً وتساوي الجانبين من مزايا الاسماك . ومن ثم تعلَّم ذلك التلميذ طريقة جديدة للبحث العلمي كانت ارسخ في ذهنهِ مما لو قرأ كتب العلم سنة كاملة فان الكتب تعلم حقائق العلم واما اغاسز فعلمهُ في يوم واحد طريقة الوصول الى هذه الحقائق

هذا التلميذ هو الدكتور جوردان وقد جرى في جامعة ستانفرد على طريقة استاذه اغاسز فانهُ يطلب من كل تلميذ ان يحفظ عملاً واحداً وان لا يكون عملهُ من الكتاب بل من الاستاذ الذي يختارهُ ليتعلم منهُ ذلك العلم لانهُ يسهل لهُ ان يختار الاستاذ الذي يريدهُ وينظر اليهِ نظر الصديق الى صديقهِ . وعلى الاستاذ ان يخبر الدكتور جوردان عما يراهُ في ذلك التلميذ من دلائل طلب العلم والرغبة فيهِ وهو يبني حكمهُ على ما يراهُ في التلامذة من الرغبة لا على ما يظهر فيهم في الامتحان الرسمي

اما الاساتذة فيُطلب منهم ان يعاشروا تلامذتهم ويصادقوهم حتى يشعر التلميذ انهُ صديق لاستاذهِ ومشارك لهُ في البحث العلمي ولا فرق بينهما الاَّ في ان الاستاذ سبق التلميذ في المعارف . والدليل الذي يقيمهُ الدكتور جوردان على ان مدرسة اغاسز كانت ارقى مدرسة في اميركا هو ان كل تلميذ من تلامذتها كان يختلف مع استاذهِ في بعض الامور ويختلف مع سائر التلامذة ايضاً . لان المدرسة عليهم ان يفتكروا ويستقلوا في افكارهم

والدكتور جوردان طويل القامة عريض الاكتاف سريع الحركة حاد البصر لين العريكة ظريف المعشر الى الدرجة القصوى يعرف كل تلميذ من تلامذة الجامعة باسمهِ ويعرف طباع كل واحد منهم لانهُ عاشرهم كلهم لكي تزيد رغبتهم في العلم وتسمو مطالبهم في الحياة

استشارهُ شاب مرة في امر دخولهِ الجامعة قائلاً انهُ فقير لا يستطيع ان يلبس ثياباً لائقة . فقال لهُ لقد ذكرتني برجل فقير سمعت قصتهُ وهو انهُ كان يرعى بقرة ولا عمل لهُ سوى مراقبتها وهي ترعى في النهار وتعود الى مبيتها في الليل ويأخذ نصف ريال كل يوم اجرة فقيمة ذلك الرجل نصف ريال لا يستفيد منهُ العالم باكثر مما يستفيد هو من نصف الريال ولولا البقرة ما احتاج اليهِ احد فهل غرضك من الحياة ان تكون راعي بقر . فخجل الشاب ودخل المدرسة وجعل يكتسب بالخدمة على المائدة وكان من اكثر التلامذة اجتهاداً

ومن عادة الدكتور جوردان ان يجول في ميدان اللعب في المساء ويحادث التلامذة . رأى ذات ليلة شاباً آتياً من جزائر فيلبين يطلب الدخول في الجامعة ولكن ليس معهُ شهادات تدلُّ على انهُ درس في مدرسة تجهيزية استعداداً لدخولها لانهُ كان جندياً في الجيش الاميركي . فتكلم معهُ في امور شتى ونسي الشاب ان الذي يكلمهُ هو رئيس الجامعة فتكلم معهُ كأنهُ احد رفاقهِ وافاض في الحديث . وفي اليوم التالي أُخبر ان الرئيس قبلهُ تلميذاً ولو لم يكن معهُ شهادة مع ان كثيرين من حملة الشهادات كانوا يرفضون كل سنة . وسأل الرئيس ذات يوم عن سبب قبولهِ لهُ من غير شهادة ومن غير امتحان فاجابهُ ان مجرَّد مجيئك الى هنا هو الشهادة

التي جعلتني اقبلك لان اجندي الذي لا نقبله لا يأتي اليه من الشهادات سوى دلالات على اتجاه ذهن الشاب فلما وجدت انك وفّرت اجرتك لجندي لكي تدخل مدرسة عالية تعلّم فيها رأيت في ذلك شهادة ابلغ من كل الشهادات التي تعطيها المدارس تلامذتها

وهو يكره الامور الرسمية ولا يعمل بها ٠ اصيب احد تلامذة مدرسته باختي التيفوئيدية وهو في النصف الاخير من السنة الرابعة فلم يستطع ان يتقدم للامتحان النهائي ٠ والعادة في المدارس ان لا تعطي الدبلوما لاحد من غير امتحان اما الدكتور جوردان فوضع اسم ذلك التلميذ بين اسماء الذين امتحنوا الدبلوما ووقف في احتفال اعطائها وقال ان التلميذ فلاناً لم يستطع حضور الامتحان النهائي لانهُ كان مريضاً ولكنهُ اثبت مدة اقامته في الجامعة انهُ لولا مرضهُ الاخير لجاز الامتحان حتماً فامتناعهُ عن الدرس نصف سنة لا يقدّم ولا يؤخر

ويأتي بعض الشبان الاغنياء الى جامعة ستانفرد احياناً ليقيموا الوقت في الكسل والاسراف فيرسلهم الى والديهم قائلاً انهُ لا يمكن تعليق تعليم يساوي عشرة آلاف ريال على شاب لا يساوي نصف ريال ٠ اما التلامذة الذين يتوسم فيهم محبة العلم والنجاح فيه فيقبلهم ولو كانوا من افقر الناس قائلاً انهُ لا يجوز حرمان الشاب الفقير من التعليم مهما كلّف لمجرّد كونهِ فقيراً

وهو من القائلين بنشر التعليم العالي حتى يصل الى ادنى طبقات الامة وعندهُ ان الامة الضعيفة التي يكثر فيها الجهل تستعبد فتستبدين واما الامة القوية فلا يستولي عليها مستبد لان الاستبداد ليس في قوة القوي بل في ضعف الضعيف فلا علاج لاستئصاله الاّ في تعليم الرجال حتى يرفعوهُ بارجلهم

وفي جامعة ستانفرد الآن ١٧٥٠ طالباً و ٢٢٠ استاذاً وفي مكتبتها ٢٢٥٠٠٠ مجلد ويبلغ المال الموقوف عليها ثلاثين مليوناً من الريالات اي اكثر من ستة ملايين من الجنيهات ٠ اليناه والمال من بشيء الجامعة اشتر ستانفرد ولكن العلم والاسم والشهرة من الدكتور جوردان فهو الجامعة والجامعة هو ممثلاً في العلوم التي تعلمها خريجوها المنتشرون في المسكونة ٠ فهو الجامعة وهو روحها ومعناها وقد استعفى الآن من رئاستها ليتفرّغ لاشغال اخرى اوسع نطاقاً وهي السعي في ابطال الحروب من الدنيا فطاف في انكلترا وفرنسا والمانيا واستراليا يلقي الخطب في وجوب ابطال الحرب وتآخي امم الارض لكن الجامعة لم تتركهُ بل جعلتهُ مشيراً لها تستشيرهُ في كل امورها